وعن سماع شيئا وفيما يخطر وورود أحوال الجهر المؤثرة في البنية
البشرية وسلم ظاهره من التخلق بأخلاقهم التي ربما يؤثر في
الباطن وليجد الوحي منه مرادا سهلا ومحلا متفرغا صالحا
لقبوله ومسلكا حسنا يسري فيه إليه ويتمكن من الاستغراق
الذي هو أكمل فعل ازعو والهوى فتصادف قلبا خاليا فتمكنا
وقد قيل الخلوة صفة الصفوة والعزلة أشارات أهل الوصلة
وسئل بعضهم الوصلة بقوله حرث خير البيدا الإخوة في
العزلة والقلة وقيل من آثر العزلة حصل العزلة وقيل
العزلة جلسة الصديقين فقال أنا بقارئ وأغلب قلة
الآفاه وقوله إلى أن أتاه الوحي في البخاري سأل الحارث ابن
هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال
أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم
عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا
فيكلمني فأعي ما يقول قيل إن الحارث إنما سأل عن ذلك لأنه
والله أعلم كان عنده علم من ذلك وكيفية إتيانه الأنبيا
قبله فلما أعلمه وافق ما عنده والحارث هذا هو شقيق أبي
جهل ابن هشام وكان من المؤلفة فلم يحسن إسلامه يوم الفتح
وشهد حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها
وحسن إسلامه جدا وتوفي سنة ثمان عشرة قال بعضهم إنما كان
يأتيه مثل صلصلة الجرس هو وقع بعض الحديد على بعض يشبه
شدة صوت الملك فيؤذنه بذلك ليشتغل بالوحي عن أمور الدنيا
والمعنى أن الوحي كان إذا ورد عليه يتغشاه كرب وذلك ليتفرغ
لما يلقى إليه قال تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا لو أنزلنا

هذا القرآن

هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا فإذا قرأ وحي إليه
سرة وهو على فخذ بعض الصحابة قال فثقلت على فخذي حتى
خشيت أن ترض فخذي ولذلك كان يعتريه مثل
حال المحموم وكان جبينه يتفصد عرقا وذلك ليبان
صدره وكحسنة بالدينية فيرتاض لاحتمال ما كلفه من
أعباء الرسالة ثم إن الناظم قسم الوحي أقساما فقال

ولازمك الناموس إما يشكله وإما ينفث أو بخليه دحية

أما الناموس فقيل هو في اللغة صاحب سر الخير كما أن الجاسوس
صاحب سر الشر وقيل الناموس هو جبريل لأنه خصه بإتيانه
الوحي إلى الأنبياء والسر الذي لا يطلع عليه غيره وقد جاء
في سؤال خديجة لورقة ابن نوفل وقوله لها هذا الناموس
الذي أنزل الله على موسى **فائدة** قيل إنما خص ورقة موسى
بالذكر دون عيسى لأنه كان عيسى أقرب إلى زمنه من
موسى وأيضا كان ورقة تنصر وآمن بعيسى ولأن
اليهود والنصارى مصدقون بأصل رسالة موسى ومتفقون
على مجيء الناموس إليه ونزوله عليه إلا أن النصارى يدعون
نسخ شريعة موسى بشريعة عيسى واليهود ينكرون
بعض ما جاء به عيسى من النسخ وغيره ويعتقدون دوام
شريعة موسى ومن أنكر بعض ما جاء به نبي من الأنبياء
فقد اعتقد فيه الكذب والكذب مستحيل على الأنبياء لأنه
لو جاز الكذب في شيء مما جاء به جاز عليه الكذب في غيره
فيلزم من هذا عدم تصديقه فإذا وقع هذا ورجع العدول عن
المختلف فيه إلى المتفق عليه خلافا لمن زعم أن ورقة تحول

قوله ورقة بفتح الواو والراء وقد ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم في الصحابة قاله في الإصابة حتى يتحنا ع ش